الشهيد الصماد نموذج القيادة ومشروع الدولة

بقلم/ حزام محمد الأسد
عضو المكتب السياسي لأنصار الله

يقف القلب غائراً جرحه، والفكر حائراً مداه والقلم عاثراً بَوحُه عند محاولة الحديث عن علامة فارقة وشخصية استثنائية في تاريخ أمة عزت فيها النماذج المثالية وندرت في آفاقها النجوم المتألقة، وكم تعظم مأساة الأمة وخسارتها في فقدانها لمثل تلك الشخصيات من أعلامها وقادتها العظام والتي كان آخرها الشهيد الرئيس صالح الصماد رحمة الله تعالى تغشاه (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ).

لقد مثل الشهيد رحمه الله الشخصية القيادية الاستثنائية المسؤولة على أعلى مستوى كرئيس دولة حيث كان النموذج الفريد ليس فقط على مستوى اليمن في تاريخه المعاصر؛ بل على مستوى المنطقة والعالم في هذا العصر الذي تعصف به المؤامرات والأحداث والمتغيرات والذي اعتاد تصنيع واستيراد الزعامات من خارج إطار الشعوب، فكأن الله قد هيئه لظروف استثنائية عصيبة كهذه الظروف التي نمر بها ويمر بها بلدنا وشعبنا وأمتنا، كيف لا وقد نهل من ثقافة القرآن على يد قرناء القرآن، وصقلته الأحداث الجسام وجعلت منه القائد العسكري المقدام، والمشرف الثقافي المتمكن، والقائد السياسي الحصيف والملهم، ومن هنا برزت وتجسدت صفات شخصية الرئيس صالح الصماد الفريدة التي وجد الشعب اليمني فيها أملاً وحلماً طال انتظاره، عندما وجده قريباً من عامة الناس وخاصتهم، عندما وجده قريباً من الجرحى ومعاناتهم ومن أسر الشهداء والأسرى والمرابطين، عندما وجده على خطوط النار الأمامية مجاهداً يؤازر المرابطين ويشرف على دوراتهم العسكرية يجلس معهم يحدثهم ويحثهم على الصبر والمصابرة والمرابطة والاحتساب والسعي نحو رضاء الله ورضوانه، دائماً ما كان يتابع ويتلمس هموم المجاهدين وكثيراً ما كان يشتاق للبقاء معهم، ومرات عديدة سمعنا الشهيد وهو يتوق ويتلهف للعودة إلى عناق البنادق والخنادق والمرابطة في ميادين وساحات الجهاد، كثيراً ما كان يحن إلى ذكريات ومآثر جبهات بني معاذ وسفيان مستحضراً رفاق دربه المجاهدين العظماء

الذين نالوا شرف الشهادة ومن لازال منهم على نفس الطريق. وهنا نجد الفرق والمفارقة بينه وبين حكام ورؤساء وزعامات استهواهم جلب المال وتكديس العملات وفتح الأرصدة والحسابات وتشييد الفلل والعمارات وإنشاء الشركات والاستثمارات وهبر الأراضي والعقارات الخاصة والعامة، وبيع البلاد سيادة وقراراً وكرامة شعب مقابل إسناد الأعداء له للإبقاء عليه كأداة مطيعة لهم ومتسلطة على أبناء الشعب، بينما كان الشهيد الرئيس الشخصية الاستثنائية حين انبرى كحالة فريدة غير معهودة محرجاً من قبله من الرؤساء والزعماء وممثلاً القدوة والنبراس لمن سيأتي بعده.

كلما أحاول الكتابة عن شخصية الشهيد الرئيس صالح الصماد رحمه الله استحضر شخصية السيد القائد العلم عبدالملك بدرالدين الحوثي حفظه الله ورعاه كملهم للأمة بهدى الله ونهجه القويم، وصانع للقادة والعظماء والتي انبرى من خلاله تلك الهامة الكبيرة التي مثلت الأنموذج الأمثل للقائد المجاهد الواعي والمستبصر بهدى الله وأعلام الهدى، وعندها تختلط العبرات بشريط الذكريات مع من ترجم لنا معاني القيادة والنبل والسمو والترفع عن الصغائر والقرب من الجميع لا سيما منهم في إطار العمل، حيث كان -رحمه الله- يحرص على أن يكون قريباً من العاملين ممن هم في إطار إدارته المباشرة على وجه الخصوص فاتحاً نوافذ وأبواب التواصل والاتصال المباشر، يتابع ويتفقد ويسأل ويشيد ويثني بالخير ويوجه وقبل أن ينهي ذلك يختم بالدعاء والطلب من الله التوفيق والقبول وكأنه هنا يعطي جرعة من الثقة والجدية والشعور بعظم العمل وحجم المسؤولية، دائماً ما كان ربطه للواقع بآيات القرآن واستذكار ما تناوله الشهيد القائد حسين بدرالدين الحوثي رضوان الله عليه في محاضراته في ذلك الموضع أو الحدث، واستذكر مواقف عديدة للشهيد في سياق تفقده ومتابعته لبعض الأمور التي قد تكون بسيطة كالفعاليات والأنشطة النخبوية والمجتمعية؛ فلم يكن يكتفي فقط بقراءة التقرير والاطلاع على العمل بل كان في كثير من الأحيان يتواصل ليسأل حتى عن حجم الحضور وانطباع الحاضرين ويشيد ويشدد على المواصلة والاستمرار ويبدي استعداده للتعاون خاصة في سياق التحرك التوعوي الجهادي كجبهة كبيرة يحرص العدو من خلال إمكاناته وأدواته على كسبها بغرض التضليل والإفساد.

لقد كان رحمه الله إدارياً ناجحاً حريصاً أشد الحرص على الوقت ودقة المواعيد حتى كان البعض يتساءل متى يجد الرئيس صالح الصماد وقت للراحة في وسط هذه الكم الكبير والهائل من

الأعمال والأنشطة والتحركات التي كانت تأتي مدروسة ومبرمجة؟ وللعلم أنه لم يعلن عن مشروعه الموسوم بـ "يد تحمي ويد تبني" إلا وقد دشنه في واقع الميدان العملي قبل إعلانه من خلال عدة مسارات كتفعيل قوات الجيش والأمن كمؤسسة رسمية ومعنية بالدفاع عن البلد وسيادته وحماية الشعب وفتح خطوط الانتاج العسكري في التصنيع والتطوير، وفي الجانب المؤسسي وبناء نموذج الدولة الحقيقية وصل الشهيد القائد إلى مراحل متقدمة سواء في ملء الفراغ وتفعيل مؤسسات الدولة والجهات الرقابية والقضائية أو على المسار الاقتصادي حيث تحرك الشهيد رحمه الله نحو تعزيز الجوانب الإيرادية للدولة وتنمية الموارد المتاحة والممكنة في مقابل توفير الحد الممكن من المرتبات والأجور للموظفين، وفي المسار السياسي تعامل - رحمه الله- برقي وتسامح وسمو منقطع النظير وترفع فوق الجراح، وعمل على طي صفحة فتنة ديسمبر ٢٠١٧م وأطلق كل الموقوفين على ذمة تلك الفتنة ومثل بذلك النموذج الفريد.

وختاماً لولا ثقتنا اليقينية بأن المدرسة التي تخرج منها الشهيد الرئيس الصماد والأرض التي أثمرت شخصيته الاستثنائية قادرتان على إنجاب العديد والمزيد من النماذج القرآنية المتكاملة أمثاله لقلنا في أنفسنا ألا حظ لبلادنا في العظماء؛ ولكن تلك الثقة عزاؤنا، وأيضاً في نيل الشهيد الرئيس أمنيته الأسمى ما يواسينا ويهون علينا مواجع الفقد بل ويصيرها إلى دوافع للانطلاق في دربه واقتفاء أثره والوفاء لتضحياته.